الدّينُ وَالوِلَايَةُ: البِنْيَةُ المَفْهُومِيّةُ للْقِيادَةِ الرّوحِيّةِ والدّينِيّةِ فِي فِكْرِ الإِمَامِ الخَامِنَئِيّ قُدِّسَ سِرُّهُ

د. محمد محمود مرتضى[1]

ملخّص

يتناول هذا البحث موقع الولاية في بنية الدين عند الإمام السيد (علي الحسيني الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّهُ، ويختبر فرضيّة مؤدّاها أنّ الولاية تعمل في فكره مبدأً ناظمًا يصل مرجعيّة الدين الإلهيّة بتجسّدها في الإنسان والجماعة، لا مجرّد صيغةٍ لإدارة الجماعة أو مسألةٍ ملحقةٍ بالدين، ويقوم على استقراء نصوصه، واستخراج بنية المفهوم من مادّته نفسها.

ينتظم البحث في أربعة مباحث: موقع الولاية في البنية الكليّة للدين، وبنيتها العقديّة والروحيّة، وصلتها بمنظومة الهداية والالتزام، وانتقالها من الاعتقاد الفردي إلى انتظام الجماعة. ويخلص إلى أنّ الولاية عنده رابطةٌ إيمانيّة تُثمر تزكية وهويّة، وحلقةٌ يستمرّ بها خطّ الهداية ويُصنع بها الالتزام، ومبدأٌ مركزيّ ينتظم عليه البناء الديني: التوحيد أصلاً، فالهداية مسارًا، فالولاية وصلاً، فالطاعة الواعية والالتزام ثمرةً، فانتظام الجماعة المؤمنة غاية.

الكلمات المفتاحية: الولاية، الإمام الخامنئي، بنية الدين، الهداية، الالتزام الإيماني، الجماعة الدينيّة.

١ - مدير مركز براثا للدراسات والبحوث، ورئيس تحرير مجلة اعتقاد.

https://doi.org/10.68724/ETQ-2026-13-FA-004

Religion, Wilayah (Guardianship)
Conceptual Structure of Spiritual, Religious Leadership in Imam Khamenei (QS) Thought

Dr. Mohammad Mahmoud Mortada[1]

Abstract

This research examines the position of wilayah (guardianship) within the structure of religion according to Imam Sayyid Ali al-Hosseini al-Khamenei (QS). It examines the hypothesis that, in his thought, the concept of "wilayah" functions as an organizing principle, one that bridges the divine religious frame of reference with its embodiment within the individual and the community. It is not merely a mechanism for managing the community, nor is it an ancillary aspect of religion; rather, the study proceeds by analyzing his texts to derive the structure of the concept from its own constituent elements.

The research is organized into four sections: the position of "wilayah" within the overall structure of religion; its doctrinal and spiritual composition; its connection to the system of divine guidance and commitment; and its transition from an individual belief to the organization of a community. It concludes that, in his view, "wilayah" is a bond of faith that fosters spiritual purification and identity. It serves as a link through which the path of divine guidance is sustained and commitment is cultivated. It acts as a central principle upon which the religious structure is organized: monotheism as the foundation, divine guidance as the trajectory, "wilayah" as the connecting link, conscious obedience and commitment as the fruit, and the cohesion of the community of believers as the ultimate goal.

Keywords:

Wilayah, Imam Khamenei (QS), Religious Structure, Divine Guidance, Faith-Based Commitment, Religious Community.

1 - Director of "Baratha Center for Studies and Research", Editor-in-Chief of "Eitiqad" magazine.

المقدمة:

الولاية مفهومٌ مركزيّ في الفكر الإسلامي، يتردّد بين ثلاثة حقولٍ متداخلة: العقيدة التي تصل الإنسان بربّه، والهداية التي ترسم له طريق سيره، والاجتماع الذي ينتظم به أمر الجماعة المؤمنة. وفي فكر الإمام السيد (علي الحسيني الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه يحضر هذا المفهوم حضورًا لافتًا في خطابه العقدي والقرآني والتربوي، حضورًا يستدعي تحرير موقعه وضبط دلالته: أركنٌ من أركان الاعتقاد يقف عند حدّ الإقرار بالقيادة الإلهيّة، أم مبدأٌ بنيويّ يمتدّ أثره إلى الهداية والطاعة والتكوين الروحي والاجتماعي للمؤمن؟

من هذا السؤال تنهض إشكاليّة البحث المركزيّة: تحديد موقع الولاية داخل بنية الدين عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه، والكشف عن الوظيفة التي تؤدّيها في وصل الاعتقاد بالهداية والالتزام. ويتّجه البحث إلى اختبار فرضيّة قوامها أنّ الولاية تعمل في تصوّره مبدأً ناظمًا يربط مرجعيّة الدين الإلهيّة بتجسّدها في حياة الإنسان والجماعة؛ فتنتقل من التوحيد أصلاً، إلى الهداية مسارًا، إلى الطاعة الواعية والالتزام ثمرةً، إلى انتظام الجماعة المؤمنة غاية.

وتتفرّع عن هذه الإشكاليّة ثلاثة أسئلة: ما ماهيّة الولاية في بعدها العقدي والروحي عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه؟ وما صلتها بالهداية وصناعة الالتزام الإيماني؟ وأين يقع هذا المفهوم من البنية الكليّة للدين؟

ويقتضي ضبط الموضوع بيان حدوده. فالبحث معنيّ بالولاية بوصفها مفهومًا دينيًا يعمل داخل بنية الاعتقاد والهداية، وتظلّ أبعادها السياسيّة والفقهيّة -نظريّة الدولة، وشكل النظام، وصلاحيات الولي الفقيه- خارج مركز الدراسة. وبهذا التحديد يبقى النظر مشدودًا إلى السؤال الأصل: موقع الولاية في التصوّر الديني.

أمّا المنهج فيقوم على استقراء نصوص الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه في كلماته ودروسه، واستخراج بنية المفهوم من مادّته نفسها، ثمّ ترتيب عناصرها ترتيبًا يكشف نظامها الداخلي.

أولًا: الولاية وموقعها في البنية الكليّة للدين:

يتناول هذا المبحث الولاية في موقعها من البناء الكلي للدين عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه. وهو يبدأ بتحرير دلالة اللفظ وضبط نواته المعنويّة، ثمّ يصل هذه النواة بأصل التوحيد ليتبيّن أنّها امتدادٌ لمقتضاه في حياة الإنسان، ثمّ يتتبّع موقعها من خطّ الهداية الإلهيّة الممتدّ من النبوة إلى الإمامة فالولاية، لينتهي إلى اختبار مركزيتها في فهم الدين. والغاية استخراج البنية من نصوصه نفسها، وترتيب عناصرها ترتيبًا يكشف عن نظامها الداخلي.

١. الدلالة المفهوميّة للولاية في خطاب الإمام الخامنئي قُدِّسَ سِرُّه

يقرّر الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه أنّ الولاية في أصلها اللغوي دالّةٌ على ارتباط شيئين، فهي «تعني اتصال شيئين معًا، بحيث لا يبقى أيّ شيء فاصلاً بينهما»[١]. ويشرح هذا الاتصال في موضعٍ آخر بصورةٍ حسّيّة، فالولاية عنده «العلاقة والصلة الوثيقة جدًّا بين أمرين بحيث لا يمكن فصلهما عن بعضهما [بعضًا] بسهولة، كأن يُعقَد حبلان معًا بإحكام»[٢].

وتتعدّد استعمالات اللفظ عنده، فيجري على المحبة والإشراف والعتق والعبوديّة والسيادة،

١ - علي الحسيني الخامنئي: العودة إلى نهج البلاغة، ص٧.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة المجادلة، ص٨٧.

وعلى ولايــة الأمر إذ «والي الأمّة أو الرعيّة هو الذي يتحمّل أمور الناس وهو مرتبطٌ بهم»، فوليّ الأمــر «هو المتصدّي»[١]. ومع هذا التعدّد يثبــت للفظ مركزٌ معنويّ جامع، إذ «مركز المعنى في مفهوم الولاية هو العلاقة الوثيقــة بين طرفين، وتتنوّع بتنوّع أطرافها»[٢]. فالنواة واحدة، والفروع مصاديق لها بحسب موقع الطرفين والدافع إلى الصلة بينهما.

وينقــل (الخامنئي) دُدَسَّرُهُ هــذا المعنى اللغوي إلى مداه القــرآني، فالولاية في القرآن «تعني التلاحم والارتباط ورصّ الصفوف، كما تعني الحذر من الذوبان والتصدّع والهزيمة أمام العوامل الخارجيّة»[٣]. ومن هذا الأصل تُقرأ آياتٌ عدّة: ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**﴾ [التوبــة: الآية ٧١] رابطةً داخل صفّ الإيمان، يقابلها النهي عن موالاة خارجه في ﴿**لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**﴾ [المائدة: الآية ٥١].

وتتركب من هــذا الأصل الواحد جهتان للولاية، جهةٌ أفقيّــة تصل المؤمنين بعضهم ببعض، فـ«العلاقة بينهم علاقة ولاية، فبعضهم وليّ بعض»، وهي ترابطٌ «دائم ومستمرّ»[٤]، وجهةٌ عموديّة تصل الأمّة بمركزها، إذ يقتضي بقاء الأمّة حيّة قويّة ارتباطَها بقوّةٍ متمركزةٍ يصدر عنها الأمر ويرجع إليها التدبير[٥]. فالجهتان صادرتان عن نواةٍ واحدة، ومتلازمتان في بناء الجماعة.

ويميّز السيد (الخامنئي) دُدَسَّرُهُ الولاية من المحبة المجرّدة، فالمحبة أحد معانيها «وهذا صحيح... لكن ليس في كلّ اســتعمالٍ لها»[٦]، والولاية أوســع منها، فهي «التوليّ والاتباع والتمسّك بأذيالهم، والســير على خطاهم في الطريق الذي ســلكوه»[٧]. وهنا تجتمع حدود المفهوم: صلةٌ وثيقة دائمة،

١ - علي الحسيني الخامنئي: العودة إلى نهج البلاغة، ص٧.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص٤٦١.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٢٢٤.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص٤٦١.
٥ - انظر: علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٢٢٦.
٦ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة المجادلة، ص٨٧.
٧ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٦)، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، ص١٩٨.

تُثمر اتباعًا وطاعة، وتتّجه من طرفٍ أدنى إلى وليٍّ أعلى يتقدّم الجماعة ويتصدّى لأمرها. فتحرير هذه الدلالة شرطٌ لِما بعده؛ إذ يقوم البحث كلّه على هذه النواة الجامعة بين القلب والعمل والقيادة.

٢. التوحيد والولاية ووحدة البناء الديني:

تنطلق رؤية الإمام الشهيد السيد (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه للولاية من أصل التوحيد. والتوحيد عنده يتجاوز الإقرار الذهني بوحدانيّة الله إلى معنى الحاكميّة؛ إذ «التوحيد يعني الحاكميّة المطلقة لله على عالم التشريع وعالم التكوين... ويجب أن نراه أمرًا إلهيًّا نافذًا سواء في عالم التكوين... أو في عالم التشريع»[١]. فالتوحيد منهجٌ في الحياة قبل أن يكون قضيّة في الذهن، يمتدّ أثره من العقيدة إلى الاجتماع.

ويستتبع هذا المعنى حصر العبوديّة والطاعة في الله وحده؛ فروح التوحيد «نفي العبوديّة لغير الله»، ومقتضاه «عدم إطاعة أعداء الله والطواغيت»[٢]، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله**﴾ [آل عمران: الآية ٦٤]، و﴿**إن الحكم إلا لله**﴾ [يوسف: الآية ٤٠].

ومن هذا الأصل تتفرّع الولاية. فحين ينحصر الحقّ في الطاعة والحاكميّة بالله، تكون ولاية الله هي الوجه الإيجابي للتوحيد، ويكون الوليّ في الأرض مظهرًا لها، فـ«الوليّ هو خليفة الله، ومظهر القدرة الإلهيّة العادلة على الأرض»[٣]. بهذا يتّصل طرفا البناء: توحيدٌ يحصر الحاكميّة في الله، وولاية إلهيّة تتجلّى في وليٍّ يقود الناس إلى مقتضى التوحيد. وهكذا تغدو الولاية صورة التوحيد العمليّة في عالم الإنسان، إحداهما في مقام العقيدة، والأخرى في مقام القيادة، فتتّحد بنية الدين حول مبدأ واحد، وتكون الولاية مقتضى التوحيد ولازمه، تنبثق منه انبثاق الفرع من أصله.

---

١ - علي الحسيني الخامنئي: كلمة بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، ١١ آذار ٢٠٢١.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٢)، ص٥.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٢)، ص٦.

٣. الولاية واستمرار خط الهداية الإلهيّة:

يتجاوز الدين في نظر السيد الشهيد (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه حدّ البيان النظري إلى التحقّق العملي، فالإسلام «يروم لحقائق الأحكام الإلهيّة أن تتحقّق في المجتمع، وهذا غير متاحٍ من دون تأسيس سلطة إلهيّة»، ولذلك «عيّن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله» من يقوم بالأمر من بعده[١].

والإمامة امتدادٌ لوظيفة النبوة، فالإمام «رائد مسيرة التعليم والتربية وقائد المسيرة الحياتيّة»، ومن هنا «كان النبيّ صلى الله عليه وآله إمامًا أيضًا»، «وبعد النبيّ تحتاج الأمّة إلى إمامٍ يخلفه ويتحمّل عبء مسؤولياته»[٢]. والإمامة في مدرسة التشيّع تجمع القيادة السياسيّة والقيادة الفكريّة والتزكية الأخلاقيّة معًا[٣]، وهي «إحدى المراتب المهمّة لشؤون رسل الله»[٤]. ويشدّد (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه على استعادة مفهوم الإمامة الراقي في الثقافة الشيعيّة[٥].

ويقرّر القرآن هذا الخطّ في قوله: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**﴾ [النساء: الآية ٥٩]. ويرى السيد الشهيد (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه أنّ «الطريق هو الإمامة»، وأنّ مقتضى القيم القرآنيّة «أن يحكم المجتمعات الإسلاميّة شخصٌ مثل علي بن أبي طالب»[٦]، ويقرن ذلك بآية التبليغ: ﴿**وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾ [المائدة: الآية ٦٧].

ودوام الدين يقتضي دوام هذا الخطّ. فخاتميّة الرسالة دليلٌ على «استمرار الإسلام وأحكامه»، وأنّ «حلال محمد حلال إلى يوم القيامة»[٧]. والإمام «بكلامه وسلوكه هداية مستمرّة لأمّته»[٨]. ويستمرّ الخطّ في عصر الغيبة، إذ الفقهاء «أمناء رسل الله تعالى في الدعوة إلى الحقّ ونبذ الباطل

١ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٠)، ص٤٦٤.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، ص٢٢.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، ص٢١.
٤ - - علي الحسيني الخامنئي: كلمة بمناسبة عيد الغدير الأغر، ٢٥ حزيران ٢٠٢٤.
٥ - علي الحسيني الخامنئي: إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، ص٩٥.
٦ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٦)، ص٥٩٠.
٧ - علي الحسيني الخامنئي: كتاب القصاص، دروس البحث الخارج، ص١١.
٨ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٣)، ص١١.

ومناصرة الضعيف والمظلوم، وحفظ الرسالة والأمّة»[١]. فالولاية بهذا امتدادٌ متّصلٌ لخطّ الهداية، يصل النبوة بالإمامة بنيابة الفقيه في حفظ الدين وتبليغه؛ سلسلةٌ متّصلة الحلقات وظيفتها واحدة: إيصال الناس إلى مقتضى التوحيد وصون الطريق إليه.

٤. مركزيّة الولاية في فهم الدين:

تحتلّ الولاية في هذا البناء موقع المركز. وتقرّر روايات أهل البيت عليهم السلام أنّها عمود الدين وأصله؛ فعن الإمام (أبي جعفر الباقر) عليه السلام: «بُني الإسلام على خمسٍ: على الصلاة والزكاة والحجّ والصوم والولاية، ولم يُنادَ بشيء كما نُودي بالولاية»[٢]. وفي رواية أخرى يسأل (زرارة) عن أفضلها، فيكون الجواب: «الولاية أفضل؛ لأنها مفتاحهنّ، والوالي هو الدليل عليهنّ»[٣].

وعلى هذا الأصل يقرأ (الخامنئي) دام ظله آية الولاية: ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون**﴾ [المائدة: الآية ٥٥]، ويجعل الولاية جامعةً لثلاثة عناصر: الأصرة والمعرفة والارتباط، ثمّ الطاعة على مستوى العمل في ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**﴾ [النساء: الآية ٥٩]، ثمّ المودّة في ﴿**قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى**﴾ [الشورى: الآية ٢٣][٤]. فالولاية مركّبٌ من الاعتقاد والمعرفة والطاعة والمحبّة، تجتمع في وحدةٍ واحدة تجعلها الرابط الذي ينظم الأركان، والقطب الذي تدور عليه وتستمدّ منه وحدتها.

ومن هذه المركزيّة ينتظم المجتمع كلّه، فالولاية بالمفهوم القرآني تقتضي «قوّة متمركزة في المجتمع الإسلامي ترتبط بها القوى الداخليّة جميعًا»، وبها «تكون أوامر الإمام نافذة في كلّ

١ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٩)، ص١٣.
٢ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ط٤، ج٢، ص١٨.
٣ - محمد بن يعقوب الكليني: ط١، ج٣، ص٥٤.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠٠٩)، ص٥٨٣.

شـؤون الحياة الاجتماعيّة»[١]. وتظهر في مستويين: ففرديًّا يكون الإنسان «صاحب ولاية عندما يمتلك معرفة صحيحة بالوليّ، ويسـعى دائمًا لأجل تحقيق المزيد من الارتباط به»، واجتماعيًّا يكـون المجتمع صاحب ولايـة «عندما يكـون الوليّ مصـدرًا لجميع النشـاطات والفعاليات الإنسانيّة»[٢]، على أن يكون التمسّك بها عملاً لا اعتقادًا قلبيًّا فحسب[٣].

تظهر الولاية بذلك أصلاً ناظمًا يربط العقيدة بالعمل، والفرد بالجماعة، ويصل مرجعيّة الدين الإلهيّة بتجسّدها في الحياة، وتتقدّم رتبتُها على رتبة الفروع، على وفق ما قرّرته روايات أهل البيت من أنّها مفتاح الأركان والدليل عليها.

ثانيًا: البنية العقديّة والروحيّة للولاية:

بعـد تحرير موقع الولاية من البنية الكليّة للدين، ينتقل هذا المطلب إلى داخلها، فيبحث بنيتها العقديّة والروحيّة عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه. يبدأ بالولاية رابطةً إيمانيّة تقوم على أصل الاعتقاد، ثـمّ يحلّل عناصرهـا الداخليّة من محبةٍ وطاعةٍ واتباع، ثمّ يتتبّع أثرها في تكوين الإنسـان الروحي وتزكيته، لينتهي إلى دورها في تشـكيل هويته الإيمانيّة. والغرض بيان أنّ الولاية عنده قُدِّسَ سِرُّه بناءٌ عقديّ روحيّ متماسـك، تترتّب عناصره بعضها على بعـض، فتنتقل بالمؤمن من التصديق إلى الالتزام إلى الهويّة.

١ - الولاية بوصفها رابطة إيمانيّة:

الولاية عنـد الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه رابطةٌ تنبع من أصل الإيمان وتقوم عليه. فهي العنصر الـذي يميّز جماعة المؤمنين؛ إذ «العلاقة بينهم علاقـة ولاية، فبعضهم وليّ بعض»، وهي ترابطٌ

١ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٢٢٦.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٢)، ص٦.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٦)، ص٥٩٨.

«دائم ومستمرّ»[١]. فالولاية بهذا هي ما يجعل من المؤمنين جبهةً واحدة متماسكة، ويفصلها عمّن سواها.

وهذه الرابطة مبنية على القرآن، مطروقةٌ في وجدان أتباع أهل البيت عليهم السلام، يتناولها بوصفها موضوعًا قرآنيًّا أصيلاً قلّ أن يُبحث على هذا النحو[٢]. وقوامها التوليّ والتبرّي معًا: ولاءٌ داخل جبهة الإيمان، وبراءةٌ ممّن يعاديها، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودة**﴾ [الممتحنة: الآية ١]. فالولاية وجهان: انتماءٌ إلى الحقّ وأهله، ومفاصلةٌ مع خصومه.

وتقوم هذه الرابطة على مبدأ التلازم بين الإيمان والبراءة، فمقتضى الولاية «أن نقسم العالم كلّه إلى قسمين: محلّ نفوذ الطاغوت ويجب الكفر به، وقسمٌ آخر محلّ نفوذ الله ويجب الإيمان به»[٣]. والإيمان بالله والكفر بالطاغوت «أمران متلازمان لا ينبغي فصل أحدهما عن الآخر»[٤]، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى**﴾ [البقرة: الآية ٢٥٦]. فالولاية عقدُ ولاءٍ وبراءةٍ في آنٍ واحد، به يتحدّد موقع المؤمن من جبهتي الحقّ والباطل.

وترتبط الولاية عنده بالإيمان بالله واليوم الآخر ارتباطًا مباشرًا، فالطاعة لأولي الأمر مشروطة في القرآن بهذا الإيمان: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم... إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر**﴾ [النساء: الآية ٥٩][٥]. فالولاية امتدادٌ عمليّ للإيمان، تصل التصديق القلبي بالله ورسوله وإمامه بالانتماء إلى جماعتهم، فتغدو علامةً على صدق الاعتقاد. فالولاية والإيمان متلازمان؛ إذ الإيمان تصديقٌ يثمر انتماءً، والولاية انتماءٌ يبرهن على التصديق.

---

١ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص٤٦١.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٢١٥.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٧)، ص١٨١.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٥)، ص٥٤٦.
٥ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٢٣٩.

وتعلو هذه الرابطة على سائر الروابط، فحين تتزاحم صلة الوليّ مع صلات القرابة والمال يتقدّم الولاء الإيماني عليها؛ إذ يعرض القرآن «الآباء والأبناء والأزواج والأموال» بوصفهم دوافع القرابة والتوليّ، ثمّ يجعل المِحكّ في تقديم الله ورسوله والجهاد في سبيله عليهم[١]. فالولاية عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه رابطةٌ حاسمةٌ لِما دونها عند التعارض، تحسم وجهة القلب والولاء.

٢ - الحب والطاعة والاتّباع:

تتكوّن الرابطة الولائيّة من عناصر ثلاثة متلازمة يجمعها السيد الشهيد (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه في نصٍّ واحد: «الآصرة والارتباط والمعرفة» أوّلًا، ثمّ الطاعة على مستوى العمل في ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**﴾ [النساء: الآية ٥٩]، ثمّ المودّة في ﴿**قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة فى القربى**﴾ [الشورى: الآية ٢٣][٢]. فالمحبّة والطاعة والاتّباع أضلاعٌ لحقيقةٍ واحدة، يسند بعضها بعضًا.

والمحبّة أصلٌ قرآنيّ، فـ«أجر الرسالة هو المحبة والمودة في القربى». ويرى أنّ «التيار العاطفي» عنصرٌ أساسٌ في مسيرة التشيّع منذ نشأته، على أن تكون «عاطفةً تستند إلى المنطق وتعتمد على الحقيقة، لا العاطفة الخاوية»[٣]. فالمحبّة وجدانٌ مشدودٌ إلى الحقيقة، مقرونٌ بالبصيرة.

ومحبّة أهل البيت عليهم السلام «لها جذورها القرآنيّة، وجذورها في الأحاديث الشريفة»، والاتّباعُ «دون المحبة لا معنى لـه»[٤]. ومن تلك الأحاديث حديث الثقلين المتّفق عليه بين المذاهب: «إني تاركٌ فيكم الثقلين؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»[٥]. فالمحبّة هي الدافع الوجداني الذي يحمل على الاقتداء بهم واتّباع نهجهم.

---

١ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص١٦٦.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠٠٩)، ص٥٨٣.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٠)، ص٢٠٥.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٧)، ص٥٧٨.
٥ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٢، ص١٠٠.

ومع ذلك تبقى المحبّة وحدها قاصرةً عن تحقيق الولاية، «فالمحبّة لها آثارها العمليّة ولكنها غير كافية، المطلوب هو الولاية. والولاية هي التوليّ والاتباع والتمسّك بأذيالهم، والسير على خطاهم في الطريق الذي سلكوه»[١]. بهذا ترتقي الرابطة من العاطفة إلى الاقتداء: تؤسّس المحبّةُ للعلاقة، وتُفعّلها الطاعة، ويجسّدها الاتّباع سلوكًا، فتصير الولاية التزامًا كاملاً. فالمحبّة الخالية من الاتّباع عاطفةٌ قاصرة عن مقصدها، والاتّباع الخالي من المحبّة حركةٌ بلا روح؛ وباجتماعهما تكتمل العلاقة الولائيّة، فتغدو الولاية مساوقة للمودة والتي تعني الحب الذي يقترن بالعمل.

٣ - الولاية والتكوين الروحي للإنسان:

يمتدّ أثر الولاية عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه من الاعتقاد إلى تكوين الإنسان الروحي. فالوليّ «يستفيد من جميع القدرات والقابليات المودعة في وجود البشر لتحقيق تكاملهم وتعاليهم»[٢]. فالارتباط بالولي مدرسةٌ في بناء الذات، توجّه طاقات الإنسان نحو كماله.

وهذا التكوين مشروطٌ بطهارة الباطن، فـ«لا يمكن من دون طهارة الباطن الوصول إلى المقامات الرفيعة والدخول في حريم ولاية هؤلاء العظماء، بل لا بد من طهارة الباطن التي تُكتسب بالتقوى والورع ومراقبة النفس المستمرة»[٣]. فالولاية والتزكية متلازمتان، والدخول في حريم الولاية ثمرةُ تطهيرٍ للنفس.

وأثر الولاية يتحقّق سلوكًا لا اعتقادًا قلبيًّا فحسب؛ فمنه قسمٌ قلبيّ، ومنه ما يتّصل بأعمال الإنسان في «عائلاته وبيوته وحياته»[٤]. ويتعمّق هذا الأثر بالعمل في سبيل الله، فـ«العمل في سبيل الله يضاعف من صفاء النفوس وطهارتها»، ويقرّب الإنسان من «جوهره الحقيقي الذي دعا إليه الأنبياء»[٥].

---

١ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٦)، ص١٩٨.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٢)، ص٦.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٦)، ص١٩٨.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٦)، ص٥٩٨.
٥ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٨)، العمل في سبيل الله يضاعف صفاء النفوس.

ويغـذّي هذا التكوين ذكرُ اللـه والتضرّع إليه، فالمطلوب أن «يطيروا بقلوبهم المتشـوّقة في فضاء التوحيد والقيم الروحيّة الأصيلة، مسـتعينين بذكر الله وبالإنابة والتضرّع إليه»[١]. فالولاية تفتح للإنسان باب المعنى، وتصله بمصادر التزكية من ذكرٍ وإنابةٍ وعمل.

ومدار هذا التكوين على تعزيز صلة الإنسـان بالله، فالأسـاس عنـد (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه هو «الإيمان بالله والارتباط بذاته وطريقه سبحانه»، وهو الهدف الأوّل من إرسال الرسل[٢]. فالولاية تصل الإنسان بوليّه، ووليُّه يصله بالله، وفي هذا الوصل تتحقّق التزكية، ويكتمل التكوين الروحي الذي تسعى إليه. فالولاية تربية متّصلة، تبدأ من طهارة الباطن وتنتهي إلى القرب من الله، وتوجّه طاقات المؤمن كلّها نحو كماله.

٤ - الولاية والهويّة الإيمانيّة:

تتحوّل الولاية عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه من رابطةٍ واعتقاد إلى عنصرٍ مكوّن لهويّة المؤمن. فمعرفـة الإمام والانضواء تحت ولايتـه شرطٌ في تحقّق الانتماء الإيماني، وفي الحديث النبوي: «من مات وليس له إمام فميتته ميتة جاهليّة»[٣]؛ فالهويّة الإيمانيّة تتحدّد بموقع الإنسان من الولاية، وفقدانها ردٌّ إلى حال الجاهليّة.

وبالولاية تمّ الدين وتميّزت هويّة الأمّة. فتعريف أمير المؤمنين عليه السلام «كوليٍّ لأمر الأمّة الإسلاميّة، وخليفة الرسـول» كان «من نعم الله تعالى الكبرى؛ فكما أنّ أصل النبوة والرسالة منّة ونعمة إلهيّة كبـيرة»، كذلك الولاية؛ وبها ﴿**اليوم يئس الذين كفروا من دينكم**﴾ [المائدة: المائدة ٣][٤]. فاكتمال الدين بالولاية علامةٌ على تمايز جبهة الحقّ بها عن سواها.

وغياب الولاية يذيب هويّة الأمّة، فثمّة مجتمعاتٌ «يصلّون ويصومون، ولعلّهم يدفعون الزكاة

١ - علي الحسيني الخامنئي: نداء القائد، ص٤٤.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٠)، ص١٠٠.
٣ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١، ص٣٧٦.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٨)، مباني المجتمع الإسلامي: يأس الكفار وغلبة أهل الحق.

أيضًا، ولكن على مستوى منظومة المجتمع لا توجد لديهم هويّة إسلاميّة»، فيتدخّل الآخرون «في ثقافة المسلمين، وفي اعتقاداتهم، وفي اقتصادهم... ويمسكون بقراراتهم»؛ إذ «لا توجد داخل المجتمع الإسلامي والأمّة الإسلاميّة هويّة واحدة»[١]. فالولاية شرطُ قيام الهويّة الجامعة التي تصون استقلال الأمّة وقرارها.

وتصوغ الولاية هويّة فرديّة وجماعيّة معًا؛ ففرديًّا يكون المؤمن صاحب ولاية بمعرفة وليّه وسعيه الدائم للارتباط به، واجتماعيًّا يقوم المجتمع على الولاية حين يكون الوليّ مصدرًا لنشاطاته[٢]. فالولاية تُعرِّف المؤمن بنفسه، وتحدّد موقعه في جماعته، فتصير عنصرًا في هويّته الإيمانيّة. وبهذا تكتمل البنية العقديّة والروحيّة للولاية: رابطةٌ إيمانيّة، عناصرها المحبّة والطاعة والاتباع، وأثرها تزكية وتكوين، وثمرتها هويّة إيمانيّة، وهو ما يمهّد للمطلب التالي في صلة الولاية بمنظومة الهداية والالتزام.

ثالثًا: الولاية ومنظومة الهداية والالتزام:

نتناول هنا الوظيفة التي تؤدّيها الولاية في منظومة الهداية والالتزام عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه، فيبدأ بالحاجة إلى القيادة في مسار الهداية، ثمّ ينتقل إلى وظيفة المرجعيّة في بيان الاتجاه وتكوين البصيرة، ثمّ يبحث طبيعة الطاعة الولائيّة بين التكليف والوعي، لينتهي إلى دور الولاية في صناعة الالتزام الإيماني. والغرض بيان أنّ الولاية عنده قُدِّسَ سِرُّه حلقةُ وصلٍ عمليّة تنقل الدين من مرتبة العلم والاعتقاد إلى مرتبة الفعل والالتزام.

١ - الحاجة إلى القيادة في مسار الهداية:

يقرّر الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه أنّ الهداية مسيرٌ جماعيّ يحتاج إلى قائد، فـ«في كلّ عصر لهذه القافلة رأسٌ وقائد؛ فمرّةً يكون هو النبيّ صلى الله عليه وآله، وفي عصرٍ آخر ينوب عنه الإمام المعصوم عليه السلام»،

١ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٧)، ص١٨٢.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٢)، ص٦.

«فالحاجـة إلى القائد أمرٌ طبيعيّ». ويترتّب على خلوّ هذا الموقع خطرٌ، إذ «إذا خلا موقع القائد ولم يُملأ هذا الفراغ، احتلّه المستبدّ وملأه وقاد القافلة وفق هواه»[١].

ووظيفة هذه القيادة أن تأخذ بيد الناس نحو غايتهم، فقد «أرسل الله الأنبياء إلى البشر ليأخذوا بأيديهـم إلى السـعادة والكـمال، ويوصلوهم إلى الحدّ الأعـلى من الإنسـانيّة»، وعلى الناس «الالتحاق بهذه القافلة ومتابعة المسيرة إلى الأمام»[٢]. فالقيادة شرطٌ في بلوغ الهداية غايتها، لا مجرّد زينةٍ تُضاف إليها.

ويعلّل الإمام الشـهيد (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه هذه الحاجة بقصور العقل البشري عن الاستقلال بالطريـق، فدور النبيّ «مسـاعدة العقل البشري كي لا يخطئ ولا يضـلّ ولا يخلط بين السراب والماء»، ومن هنا جاء الأمر بالطاعة في ﴿**وأطيعون**﴾ «لتأكيد أهميّة وجود مرشدٍ يوجّه الإنسان ويساعده»، على ما ورد في نهج البلاغة من أنّ الرسل بُعثوا ليثيروا للناس «دفائن العقول»[٣].

وبهذه القيادة تنتقل تعاليم الدين من مستوى النصّ والمبدأ إلى مستوى الفهم والممارسة، إذ الإمامة تقترن فيها القيادة السياسـيّة بالقيادة الفكريّة والتزكية الأخلاقيّة[٤]. فالقائد يترجم الأصل الدينيّ إلى مسارٍ عمليّ يهتدي به الناس، ويصون وحدة الوجهة في مسيرهم.

ويسـتمرّ هـذا الدور القيـاديّ في حفظ الهداية عبر إحيـاء معارف أهل البيـت عليهم السلام، فالإمام (الخامنئـي) قُدِّسَ سِرُّه يـرى أنّنا «بحاجة إلى إحياء معـارف أهل البيت عليهم السـلام»، وأنّ هذا «السلاح يصون المجتمع والنظام الإسلامي والإسلام والمسلمين»، ويجعل ذلك مسؤوليّة هداية في أعناق حَمَلة هذا الخطّ[٥]. فالقيادة تصون الهداية بتجديد حضور تعاليم أهل البيت في وعي الأمّة.

---

١ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص٤٧٢.

٢ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص١٤٦.

٣ - علي الحسيني الخامنئي: كلمة في لقاء مسؤولي البلاد وسفراء الدول الإسلاميّة، ٢٨ كانون الثاني ٢٠٢٥.

٤ - علي الحسيني الخامنئي: إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، ص٢١.

٥ - علي الحسيني الخامنئي: كلمة في لقاء ذاكري أهل البيت عليهم السلام، ١٥ شباط ٢٠٢٠.

٢ - المرجعيّة الدينيّة ووظيفة بيان الاتجاه:

تؤدّي القيادة وظيفة تشخيص المسار وبيان الاتجاه، وقوامها البصيرة، إذ «لا يمكن السير من دون بصيرة»، وهي «البصيرة في الهدف، والبصيرة في الوسيلة، والبصيرة في معرفة العدوّ، والبصيرة في معرفة عقبات الطريق، والبصيرة في معرفة سبل الحدّ من هذه العقبات»[١].

فالبصيرة هي «البوصلة وكشّاف النور»، بها يهتدي الإنسان في الفضاء المظلم، غير أنّها «شرطٌ لازمٌ ولكنها ليست شرطًا كافيًا»[٢]. فهي تكشف الطريق، ويبقى بلوغ الغاية موقوفًا على العزم والعمل بعدها.

ووظيفة القيادة أن تعيّن للأمّة موضع الصواب، فالبصيرة «أن تشخّصوا خطّ المواجهة مع العدوّ»[٣]، ولذلك يلزم القائد أن يكون «عارفًا بأمور زمانه»، إذ «لو لم يكن كذلك لوقع فريسةً للخداع، فلا بدّ أن يكون عارفًا بأمور زمانه حتى يعرف الأعداء ويكتشف الحيل والمؤامرات»[٤]. فالمرجعيّة الدينيّة تقرأ الواقع المتغيّر، وتوجّه الوعي الدينيّ فيه.

وأخصّ ما تبيّنه القيادة تمييزُ الصديق من العدوّ، فـ«لنتحلّ أولاً بالبصيرة بأن نعرف العدوّ ونعرف الصديق»، وثمّة من «مُني ساستُهم بخداع البصيرة، حيث لا يتسنّى لهم التمييز بين الصديق والعدوّ، فيخالون العدوّ صديقًا والصديق عدوًّا»[٥]. فبيان الاتجاه ضبطٌ لبوصلة الولاء والعداء في وعي الأمّة.

ومن ثمار هذا التوجيه أن يصير الوعي حصنًا للأمّة، فالشعب «إذا كان صاحب بصيرة... فسوف تكلّ جميع سيوف الأعداء أمامه»، «وإذا لم تتوفّر البصيرة» ضلّ الطريق وذهبت قواه

---

١ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠٠٩)، ص٥٠٣.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٠)، ص٤٢٥.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٢)، ص٥٢٨.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: نداء القائد، ص٢٧.
٥ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٥)، ص٢٦١.

هدرًا[١]. فبيان الاتجاه عنده قُدِّسَ سِرُّه صناعةٌ للوعي الجمعيّ يحفظ الأمّة من التضليل.

٣ - الطاعة بين التكليف والوعي:

وهنا يأتي دور الطاعة، والتي هي عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه حالةٌ نفسيّة قبل أن تكون امتثالاً لأمرٍ بعينه، فهي «أن يكون المؤمن مستعدًّا لامتثال ما يُطلب منه من تكاليف وواجبات»، فـ«المؤمنون هم الذين ينتظرون خريطة الطريق التي يرسمها لهم الله ليسيروا وفقها»[٢]. وعلى هذا تُقرأ ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**﴾ [النساء: الآية ٥٩] بوصفها كشفًا عن هذه الحالة، لا مجرّد تكليفٍ منفصل.

وجوهر الطاعة تسليم الإرادة لله ورسوله، فـ«المقصود من طاعة الله ورسوله وجود روحيّة الانقياد في النفس تجاه أوامر الله ورسوله»، ومعناه «أن يسلّم الإنسان زمام أمور حياته لله ورسوله»[٣]. فالطاعة موقفٌ وجوديّ من الحياة كلّها، لا امتثالٌ في مسائل معدودة.

وهذه الطاعة موصولةٌ بأولي الأمر على التعيين، فـ«أولو الأمر الذين هم أشخاصٌ بأعيانهم هم الذين تتحقّق بطاعتهم طاعة الله والرسول»[٤]. فطاعة الوليّ في هذا البناء طاعةٌ لله بواسطته، تنتظم بها التكاليف في مرجعٍ واحد.

ومقتضى هذه الطاعة الإذعانُ لاختيار الوليّ وتقديمُ مصلحة الجماعة، فعلى المؤمن أن «يغضّ الطرف عن مصلحته الخاصة ويُذعن لما اختاره وليّ الله، ويؤمن أنّ الخير فيما اختاره، ويضحّي بمصلحته الخاصة من أجل مصلحة الجماعة»[٥]. فالطاعة الواعية تسليمٌ يثق بحكمة الوليّ، ويقدّم المصلحة العامّة على الهوى الخاصّ.

---

١ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠٠٩)، ص٥٠٢.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص٤٨٨.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص٤٨٩.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص٤٩٢.
٥ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص٣٨١.

ومـع ذلك تبقـى الطاعة عنده قُدِّسَ سِرُّهُ مشروطـةً بالبصيرة والوعي، فالامتثـال من غير بصيرةٍ خطرٌ، إذ «لو لم تتوفّر البصيرة لكان من الممكن أن يجرّ هذا الإيمان -ذاته- الإنسـان إلى طريق الضلال»[١]. فالطاعة الولائيّة المطلوبة طاعةٌ واعية، تجمع الانقياد إلى التكليف مع البصيرة في تشخيص المسار، فتلتقي المسؤوليّة الفرديّة مع الاتباع في نقطةٍ واحدة.

٤ - الولاية وصناعة الالتزام الإيماني:

ينتهي هذا البناء عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّهُ إلى الالتزام؛ إذ الإيمان عنده «ما وقر في القلب من ارتباطٍ فكريّ وعقديّ ونفسيّ بمصدرٍ معيّن»، ثمّ «لا بدّ أن يصدّقه العمل؛ فالإيمان الحقيقيّ لا بـدّ أن يقترن بما يفرضه الإيمان من التزام»[٢]. فالولاية تحوّل الاعتقاد إلى فعل، والمعرفة إلى موقفٍ ملزِم.

ويجعل السـيد (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّهُ هذا الالتزام محكًّا للولاء نفسـه، فيسـأل: «نحن مؤمنون بالإسلام وبنبيّ الإسلام وبإمامة أمير المؤمنين، فهل نحن ملتزمون بلوازم هذا الإيمان؟». ويقرّر أنّه «إذا لم يكن إيماننا مقرونًا بالالتزامات العمليّة، فلا يمكن أن نتوقّع أن ينالنا عطاء الإيمان»[٣]. فالولاية من دون التزامٍ دعوى بلا برهان.

وينتج عن هذا الاقتران هداية متجدّدة، فالسعادة «مقرونةٌ بالإيمان والعمل الصالح»، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم**﴾ [يونس: الآية ٩][٤]، و«العمل الصالح هو ذاك العمل المتناسـب مع الإيمان»، وبه أنجـزت الأمّة ثورتها حين آمنت بالطريق والهدف «وتبعًا لهذا الإيمان أنجزت عملها»[٥].

---

١ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٤)، ص٢٣.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٣٩.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٥٤.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٧٢.
٥ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١١)، ص٥٥٩.

وبهذا يتحوّل الاعتقاد إلى مشروعٍ عمليّ؛ فالإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه يعتبر ربط النبوة بالعمل «ضمانًا لكي تتحوّل أحاديثنا السابقة إلى مشروع عملي في الحياة»[١]، ويجعل ميزان العمل نيّة القربة، فـ«ليكن عملكم في سبيل الله»، حتى تصير أعمال الحياة اليوميّة عبادةً وقربى[٢]. فالالتزام الولائيّ يستوعب تفاصيل العيش، ويصبغها بصبغة العبوديّة.

ويقتضي هذا الالتزام ثباتًا واستمرارًا في العمل، فـ«عندما يسير الإنسان على الصراط المستقيم لا بدّ له من ثبات»، وقوامه العبادة والتوجّه إلى الله، و«أداء الصلاة في أوّل وقتها، وقراءة القرآن يوميًّا»، والعمل بالمستحبّات بقدر الإمكان[٣]. وبهذا تصير الولاية صانعةً للالتزام الإيماني: تنقل الهداية من معرفةٍ بالقيم والأحكام إلى فعلٍ ثابتٍ يوجّه الموقف والسلوك.

رابعًا: الولاية من الاعتقاد الفردي إلى انتظام الجماعة الدينيّة:

ننتقل هنا ببحث الولاية من مقامها الفردي إلى وظيفتها في انتظام الجماعة الدينيّة، ثمّ نختم بالقسم التركيبيّ الذي تُعاد فيه رؤية الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه بناءً واحدًا. نبدأ بالبعد الاجتماعي للولاية، ثمّ نبيّن دورها في توحيد الاتجاه الديني، ثمّ في بناء الوعي الجماعي، لننتهي إلى اختبار الفرضيّة التي انطلق منها البحث: أنّ الولاية تعمل عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه مبدأً ناظمًا يصل مرجعيّة الدين الإلهيّة بتجسّدها في الإنسان والجماعة. والغرض جمع العناصر المتفرّقة في المباحث السابقة في نسقٍ واحد يكشف عن نظام المفهوم.

١ - البعد الاجتماعي للولاية:

تنتقل الولاية عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه من رابطةٍ فرديّة إلى رابطةٍ تنتظم حولها الجماعة

١ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٢٠٦.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٥)، ص١٩٢.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٩)، ص٤٦٩.

المؤمنة، فالمؤمنون «بعضهم أولياء بعض»، يشكّلون «جبهةً واحدة» في منطق القرآن[١]. ومن هذا الأصل تُقرأ ﴿**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**﴾ [التوبة: الآية ٧١]، و﴿**أولئك بعضهم أولياء بعض**﴾ [الأنفال: الآية ٧٢]؛ فالولاية رابطةٌ تجمع الأفراد في كيانٍ واحد، والفرد في هذا التصوّر يكتسب موقعه ومعناه من انتمائه إلى الجماعة المؤمنة، فلا يُدرَكُ معزولاً عنها، والولاية هي الرابطة التي تحوّل مجموع الأفراد إلى أمّةٍ ذات وجهةٍ واحدة، يشدّ بعضها بعضًا ويحمل بعضها همّ بعض.

والولاية بالمعنى القرآني «تعني التلاحم والارتباط ورصّ الصفوف، كما تعني الحذر من الذوبان والتصدّع والهزيمة أمام العوامل الخارجيّة»[٢]، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء**﴾ [المائدة: الآية ٥١]. فهي في بعدها الاجتماعي تماسكٌ داخليّ ومفاصلةٌ مع الخارج المعادي معًا. فهي تبني الداخل وتحرس حدوده في آنٍ واحد، فيبقى المجتمع المؤمن متماسكًا في نفسه، ممتنعًا عن الذوبان في غيره، من غير أن ينغلق انغلاق العزلة عن العالم، وبذلك تجمع الولاية بين قوّة الوحدة الداخليّة ووضوح الحدّ الفاصل مع من يعاديها.

ويميّز السيد (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه بين مستويي الولاية الفرديّ والاجتماعيّ، فالمجتمع «يكون صاحب ولاية عندما يكون الوليّ مصدرًا لجميع النشاطات والفعاليات الإنسانيّة»، والفرد «صاحب ولاية عندما يمتلك معرفة صحيحة بالوليّ، ويسعى دائمًا لأجل تحقيق المزيد من الارتباط به»[٣]. فولاية الفرد «الارتباط والاتصال المطلق بالولي واستمرار ذلك الارتباط»، وولاية المجتمع «تتحقّق حين يكون الوليّ مشخّصًا في ذلك المجتمع»[٤]. فالمستويان متلازمان، فهما: ارتباطٌ فرديّ في قلب المؤمن يمدّه بالمعنى، وتشخّصٌ للوليّ في المجتمع يمنحه المركز والوجهة، وباجتماعهما تكتمل الولاية ببُعدَيها الفرديّ والاجتماعيّ.

---

١ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص٤٦١.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٢٢٤.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٢)، ص٦.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٢٣٥.

وللمجتمع القائم على الولاية طبيعةٌ ودورٌ يبحثهما السيد (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه في ضوء آية التمكين: ﴿**الذين إن مكّنّاهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**﴾ [الحج: الآية ٤١][1]. فالولاية أساسٌ يقوم عليه المجتمع، ومنطلقٌ لوظائفه في إقامة الدين وإصلاح الحياة. فالمجتمع الموالي جسدٌ حيّ تتوزّع فيه الوظائف على أعضائه، ويشدّ بعضه بعضًا في أداء رسالته، وآية التمكين تجعل إقامة الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر علاماتٍ على حياة هذا الجسد ونهوضه بمسؤوليته.

ويردّ السيد (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه هذا البعد الاجتماعي إلى طبيعة الإسلام نفسه، فهو «دينٌ شعبيّ جماعيّ... دين المسؤوليّة العامة»، يخاطب الأفراد بما هم مجتمع[2]. فالبعد الاجتماعي للولاية عنده مقتضى دينٍ يقوم على الجماعة والمسؤوليّة المشتركة. فالمؤمن مسؤولٌ عن أخيه وعن أمّته، والولاية هي التي تنقل هذه المسؤوليّة من شعورٍ فرديّ إلى نظامٍ يربط الأفراد بعضهم ببعض، ويجعل خير الجماعة همًّا لكلّ فردٍ فيها، وصلاحها غاية يسعى إليها الجميع.

ويظهر هذا البعد الاجتماعي في العبادات الفرديّة نفسها، فالإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه يجعل ركائز النظام الاجتماعي أربعًا، ويرى أنّ للصلاة -على ما فيها من أسرارٍ وحقائق فرديّة- «بُعدًا اجتماعيًّا» يظهر حين يقف المسلمون صفًّا واحدًا[3]. فالولاية تصبغ شعائر الفرد بصبغةٍ جماعيّة، وتجعلها لبناتٍ في بناء الأمّة. فالعبادة صلةٌ بين العبد وربّه، وهي في الوقت نفسه فعلٌ يبني الجماعة وينظّم علائقها، وبهذا يتّصل السلوك الفرديّ بالبناء الاجتماعيّ في نسقٍ واحد تجمعه الولاية.

مع هذه الرابطة فإننا نتلقى رحمة تنزل على الجماعة، فالسيد (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه يقرأ في «ولاية المؤمنين بعضهم لبعض» أنّ «الرحمة الإلهيّة هي ثمرة هذه الولاية وهذا الائتلاف»، فإذا تولّى

١ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٢٣٢.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠٠٩)، ص٤٨٣.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٥)، ص١٣٧.

المسلمون بعضهم بعضًا وتعاونوا «شملتهم رحمة الله»[١]. فالبعد الاجتماعي للولاية عائدٌ بالخير على الجماعة في دنياها ودينها. فالتراحم والتعاون ثمرةٌ من ثمار الولاية، والرحمة الإلهيّة جزاءٌ عليها، وبهذا تصير الرابطة الولائيّة مصدر عزّةٍ للأمّة ومنعةٍ لها، تشدّ أفرادها بعضهم إلى بعض وتقيهم التفرّق والوهن.

٢ - الولاية ووحدة الاتجاه الديني:

تؤدّي الولاية وظيفةً في توحيد اتجاه الأمّة، فهي «ترابط المسلمين وتعاضدهم»، وقد «صار ذلك سياسةً قرآنيّة للمسلمين»، تدعوهم إلى «اتحاد شعوبهم وجماعاتهم» ليكونوا صفًّا واحدًا[٢]. فالولاية تجمع الوجهة وتمنع تشتّت المرجعيات وتعارض الاتجاهات. فحيث تتعدّد المرجعيات وتتنازع الوجهات يضطرب مسير الأمّة، وتعمل الولاية على ردّ هذا التعدّد إلى محورٍ واحد يوحّد القرار والموقف، ويمنع تبدّد الطاقة في اتجاهاتٍ متعارضة يفرّقها الهوى ومصالح الأفراد.

ويقيم الإمام (الخامنئي) قدس سره وحدة الاتجاه على رابطةٍ وجدانيّة، فـ«عنصر العطف والرأفة بين المؤمنين يشكّل ركنًا» في الحالة المنشودة للأمّة. ويرى في «نشوب الفرقة والصراع بين صفوف الأمّة» مرضًا خطرًا «يجب العمل على علاجه بكلّ ما هو متوفّر من قوة»[٣]. فالوحدة تماسكُ قلوبٍ قبل أن تكون تنسيقَ مواقف.

على أنّ وحدة الاتجاه قائمةٌ على المشتركات مع بقاء التنوّع، فالوحدة «تعني التركيز على المشتركات، رغم العقائد المختلفة والشعوب المتفاوتة»، من غير إلزام فرقةٍ بعقائد أخرى[٤]. فالوحدة هي وحدة مقصدٍ لا إذابةٌ للفروق. فهي تجمع على الأصول الكبرى، وتتّسع للاختلاف في التفاصيل، فلا تفرض تطابقًا يلغي خصوصيات المكوّنات، ولا تترك التنوّع يستحيل تفرّقًا

١ - علي الحسيني الخامنئي: كلمة صلاة الجمعة في طهران، ٤ تشرين الأول ٢٠٢٤.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: كلمة صلاة الجمعة في طهران، ٤ تشرين الأول ٢٠٢٤.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: نداء القائد، ص٤٤.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠٠٩)، ص٥٦٨.

يهدّد وحدة الأمّة، فالمطلوب انسجامٌ في الوجهة يستوعب تعدّد المشارب.

ويصرّح الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه بأنّ التنوّع «حالةٌ طبيعيّة ولا تتنافى مع تشكيل الأمّة الواحدة»؛ إذ «يمكن أن تكون هناك آراء ورؤى متنوّعة في المسائل الأصوليّة والفرعيّة من دون مساسٍ بالأمّة الواحدة»، وأنّ ما يفرّق المسلمين إنّما هو «الدوافع السياسيّة ودوافع طلب السلطة»[١]. فالوحدة في الاتجاه والهدف «لا تتنافى مع الاختلاف في الأذواق»[٢]. فالخلاف المذموم عنده قُدِّسَ سِرُّه هو خلافٌ في الأصول والوجهة الذي يفتّت الصفّ، والاختلاف المقبول تنوّعٌ في الرأي والذوق يبقى تحت سقف الوحدة، والولاية هي التي تضبط هذا الحدّ، فتصون الأصول وتتّسع للفروع.

وغاية هذه الوظيفة إبرازُ هويّة موحّدة للأمّة على تعدّد مكوّناتها، فالأمّة «تتكوّن من شعوبٍ وأعراقٍ وأتباع مذاهب عديدة»، والمطلوب «استعراض الهويّة الموحّدة للأمّة الإسلاميّة»[٣]. وهنا تغدو الولاية مبدأً يوحّد الاتجاه من غير أن يلغي التنوّع داخل الجماعة. فالهويّة الجامعة التي تصنعها الولاية تتّسع لأطياف الأمّة على اختلاف أعراقها ومذاهبها، وتردّها جميعًا إلى مقصدٍ واحد؛ فتكون الوحدة في المقصد، والتنوّع في المشارب والوسائل، من غير أن يفضي أحدهما إلى إلغاء الآخر.

ويرفع الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه الوحدة إلى مرتبة الفريضة، فـ«أمر الوحدة والتلاحم في الصفّ الإسلامي يشكّل اليوم فريضةً حتميّة». ويقرن عزّة الأمّة بثلاثة أركان: تحديد الموقف الحاسم أمام الاستكبار، والتراحم والتقارب بين المسلمين، والخشوع والتعبّد أمام الله[٤]. فوحدة الاتجاه فريضةٌ دينيّة، لا مجرّد مصلحةٍ سياسيّة عارضة، والفرقة معصية تُضعف الأمّة أمام أعدائها، والوحدة طاعةٌ تشدّ أزرها، وكلاهما مسألةٌ تدخل في صميم الولاية؛ إذ الولاية رابطةٌ تجمع القلوب على المحبّة والوجهة معًا قبل أن تكون حسابًا سياسيًّا.

---

١ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٤)، ص٣٦٤.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٦)، ص٢٠٩.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: نداء القائد، ص٤٦.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: نداء القائد، ص٤٥.

٣ - القيادة الدينيّة وبناء الوعي الجماعي:

وهنا يأتي دور القيادة الدينيّة التي تقوم بدورٍ في تشـكيل الإدراك المشترك للأمّة عبر التبيين، فهو «يصنع خطابًا، يوجد فكرًا ومطالبةً عند الرأي العام»، و«يوجّه البلاد باتجاه محدّد»، على أن يقترن بـ«الاسـتمرار والمثابرة»[١]. فبناء الوعي الجماعي عملٌ متّصلٌ لا حدثٌ عارض. فالوعي الجماعي بناءٌ يُشاد على مهلٍ بالبيان والتكرار والاستقامة في الخطاب، ويحتاج إلى مدة ومثابرة حتى يرسـخ في أذهان الناس فيصير قناعةً عامّة موجّهة للسـلوك، لا مجرّد فكرةٍ عابرة تُطرح ثمّ تُنسى.

ووظيفة القيادة أن تحوّل المفاهيم الدينيّة إلى مسلّماتٍ في وعي المجتمع، فالمطلوب «جعل هذه المفاهيم من بيّنات أفكار المجتمع الإسلامي»، حتى «تصبح مسلّماتٍ فكريّة» لا يتأتّى لأحدٍ صدُّها[٢]. فالقيادة تصوغ الأرضيّة الفكريّة المشتركة التي يقوم عليها الفعل الجماعي. فما دامت المفاهيم موضع نزاعٍ في الأذهان بقي الفعل مضطربًا متردّدًا، وإذا اسـتقرّت مسلّماتٍ لا يتطرّق إليها الشكّ توحّد السلوك تبعًا لها، وانتظمت مواقف الأمّة على أساسٍ فكريٍّ ثابت.

وأهمّ ما يوجّه هذا الوعي إدراكُ القضيّة الكبرى للأمّة، فـ«الأهمّ من كلّ ذلك هداية الجماهير فيما يتّصل بقضيّة اجتماعيّة كبرى هي قضيّة الدولة والنظام الإسـلامي، والواجبات التي تترتّب على هـذه القضيّة في مواجهة الأحداث العالميّة». ولذلك كان لعلماء الدين «تأثيرٌ مسـتمرّ في أحداث المجتمع ومصيره»[٣]. فالقيادة الدينيّة توجّه أنظار الأمّة إلى قضيّتها الكبرى وأولوياتها، وتمنعها من الانشـغال بالثانويّ عن الأصليّ، فيتّحد إدراكها للتحدّيات التي تواجهها والموقف الواجب حيالها.

فالأمّـة «قد أُخرجت للبشريّـة»، والهدف من وجودهـا «إنقاذ البشريّة وتحقيـق الخير لها»،

---

١ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٦)، ص٤٦٧.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٧)، ص١٨١.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٠)، ص٥٨.

وواجبهـا الأكبر «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان الراسـخ باللـه»[١]. فبناء الوعي الجماعي يربط إدراك الأمّة لذاتها بإدراكها لرسـالتها ومسـؤوليتها. فالوعي الذي تصنعه القيادة الدينيّة وعيٌ برسالةٍ لا وعيٌ بالذات وحدها، يجعل الأمّة تدرك موقعها في العالم وواجبها تجاهه، وبهذا يرتفع الوعي الجماعي من الانشـغال بالهمّ الخاصّ إلى حمل همّ الإنسـانيّة والدفاع عن المستضعفين.

ومـدار هذا الدور على إحياء المعرفة الدينيّة في وعي الأمّة، فالسـيد (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه يرى أنّنا «بحاجة إلى إحياء معارف أهل البيت عليهم السلام»، ويجعل ذلك «مسؤوليّة هداية»[٢]. فبناء الوعي الجماعي عبارة عن صناعة للإدراك الدينيّ المشـترك للقضايا والأولويات والتحديات، تبقى في أفق الهداية والوعي، من غير أن تتحوّل إلى دراسةٍ في الاتصال السياسي أو إدارة الدولة. فالمدار هنا على الوظيفة الدينيّة للقيادة في تكوين الإدراك المشترك، لا على آليات التأثير وأدوات الإعـلام؛ فالقيادة الدينيّة تبني الوعي بوصفه امتـدادًا للهداية، وتصونه في أفق العقيدة والمعرفة الدينيّة.

٤ - الولاية بوصفها مبدأً ناظمًا لبنية الدين:

يبلـغ البحث هنا قسـمَه التركيبيّ؛ حيث تنتظم عناصر الولاية المتفرّقـة في مبدأٍ واحد ناظم. فالولاية عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه هي النقطة التي تلتقي عندها خيوط الدين، حتى إنّ «أهميّة الولاية لا تفوقها أهميّة أخرى»، وبها تُقام سائر الأركان: «حين تتحقّق الولاية في المجتمع تتحقّق معهـا إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدبّ الروح والحياة في المجتمع»[٣]. فالولاية في هذا التركيب ليست ركنًا إلى جانب الأركان، إذ هي المحور الذي تدور

١ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٠)، ص٤٥٣.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: كلمة في لقاء ذاكري أهل البيت عليهم السلام، ١٥ شباط ٢٠٢٠.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٢٣٦.

عليه، والمفتاح الذي تُفتح به، وبها تنتقل العناصر من التجاور إلى التلاحم، فتصير بنية واحدة متماسكة لا مجموعةً من الأجزاء المتناثرة.

ويبدأ هذا البناء من التوحيد أصلاً، فروح التوحيد «نفي العبوديّة لغير الله» وحصر الطاعة والحاكميّة به[١]. ومن هذا الأصل تنبثق الولاية وجهًا إيجابيًّا له، إذ الوليّ «خليفة الله، ومظهر القدرة الإلهيّة العادلة على الأرض»[٢]. فالتوحيد يقتضي وليًّا يُطاع بأمر الله، والولاية صورة التوحيد في عالم الإنسان. فالخيط الأول في البناء يمتدّ من العقيدة إلى القيادة، من الإقرار بحاكميّة الله وحده إلى الانقياد لوليّه الذي يقود إليه؛ فتغدو الولاية ترجمةَ التوحيد إلى نظامٍ يحكم حياة الإنسان والجماعة.

ثمّ يندرج في هذا المبدأ خطُّ الهداية؛ فالهداية مسيرٌ لقافلة «لها رأسٌ وقائد»، من النبيّ إلى الإمام المعصوم فنائب الإمام، «فالحاجة إلى القائد أمرٌ طبيعيّ»[٣]. والولاية هي الحلقة التي يستمرّ بها خطّ الهداية ويتّصل، تصل مرجعيّة الوحي بتحقّقه في الأمّة. فمن غير هذه الحلقة ينقطع الوحي عن الحياة، ويبقى الدين علمًا بلا امتداد، وبها يتّصل الأصل الإلهيّ بمجرى التاريخ، فتنتقل الهداية من النصّ إلى الواقع عبر قيادةٍ حاضرة في كلّ عصرٍ تصون الطريق وتبيّن معالمه.

ثمّ تثمر الولاية طاعةً واعية والتزامًا، فالطاعة «روحيّة الانقياد في النفس تجاه أوامر الله ورسوله»، ومعناها «أن يسلّم الإنسان زمام أمور حياته لله ورسوله»[٤]. ولا يكتمل الإيمان إلا بأن «يصدّقه العمل»، فـ«الإيمان الحقيقيّ لا بدّ أن يقترن بما يفرضه الإيمان من التزام»[٥]. فالولاية تنقل الدين من التصديق إلى الفعل الملتزم. فالطاعة الواعية والالتزام هما الثمرة التي تُخرِج

١ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٢)، ص٥.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٢)، ص٦.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص٤٧٢.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص٤٨٩.
٥ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٣٩.

الولاية من دائرة الاعتقاد إلى ميدان العمل، فيصير الإيمان موقفًا يوجّه السلوك، والولاءُ التزامًا يظهر أثره في تفاصيل الحياة، من العبادة إلى الموقف السياسي والاجتماعي.

ثمّ ينتهي المبدأ إلى انتظام الجماعة وإحيائها، فعطاء الولاية للمجتمع عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه «انتقالٌ من الموت إلى الحياة»؛ فكما أنّ الجسد من دون روحٍ ميّت، كذلك المجتمع «يفتقد الروح» ما لم تُحيِه الولاية[1]. فبالولاية تدبّ الحياة في بدن الأمّة، وتنتظم طاقاتها في وجهةٍ واحدة. فالجماعة المؤمنة هي الغاية التي يصبّ فيها البناء كلّه، إذ تتجسّد فيها العقيدة والهداية والطاعة التزامًا جماعيًّا حيًّا، فتغدو الأمّة صورةً منظورة للدين الذي تحمله، ومظهرًا لتحقّق الولاية في الاجتماع الإنساني.

ويجمع هذا المبدأ الفردَ بالمركز، فالوليّ «هو المتصدّي» لأمر الناس، «مرتبطٌ بهم» قائمٌ على شؤونهم[2]. فالولاية تصل كلّ فردٍ بقلب الأمّة ومركزها، وتنتظم بها الطاقات في وجهةٍ واحدة نحو مقصدٍ واحد، فيتحوّل مجموع الأفراد إلى كيانٍ حيٍّ منظّم. فبهذا الوصل يلتئم البعدان الفرديّ والاجتماعيّ في الولاية: ارتباطٌ في القلب يصل المؤمن بوليّه، وانتظامٌ في الاجتماع يصل الجماعة بمركزها، ومن تكامل البعدين تقوم الأمّة كيانًا واحدًا حول محورٍ واحد.

يتبيّن من هذا التركيب أنّ الولاية عند الإمام (الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه مبدأٌ ناظمٌ لبنية الدين، تنتظم فيه العناصر على هذا الترتيب: التوحيد أصلاً، والهداية مسارًا، والولاية وصلاً، والطاعة الواعية والالتزام ثمرةً، وانتظام الجماعة المؤمنة غاية. فولاية الفرد «الارتباط المطلق بالولي»، وولاية المجتمع قيامُه على وليٍّ مشخّص[3]. وبهذا الوصل المزدوج تصل الولاية مرجعيّة الدين الإلهيّة بتجسّدها في الإنسان والجماعة، فتتحقّق الفرضيّة التي انطلق منها البحث. فالولاية أشبه بالعمود الفقريّ الذي تنتظم حوله أعضاء البناء الدينيّ، تربط أصله بفرعه، وتحفظ له تماسكه ووحدته.

---

١ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٢٣٦.

٢ - علي الحسيني الخامنئي: العودة إلى نهج البلاغة، ص٧.

٣ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٢٣٥.

الخاتمة:

عالج هذا البحث موقع الولاية في بنية الدين عند الإمام السيد (علي الحسيني الخامنئي) قُدِّسَ سِرُّه، وانتهى إلى أنّ محـور التوحيد والولاية والهداية قائمٌ في خطابـه فعلاً، تحمله نصوصه من غير قسر، فأمكن على أساسه بناء نموذجٍ مفهوميّ للولاية عنده، تُجمَل فيه الإجابة عن الأسئلة الثلاثة التي انطلق منها البحث.

أمّـا ماهيّة الولايـة في بعدها العقدي والروحي، فهـي رابطةٌ إيمانيّة نواتها صلـةٌ وثيقة دائمة بـين طرفين[١]، تُثمـر اتّباعًا وطاعة، وتتجاوز المحبـة المجرّدة إلى «التوليّ والاتباع والتمسّـك بأذيالهم»[٢]. وتتكوّن هذه الرابطة من الآصرة والمعرفة والطاعة والمودّة[٣]، ويمتدّ أثرها إلى تكوين الإنسـان الروحي وتزكيته، وإلى تشـكيل هويّته الإيمانيّة. فالولاية في هذا البعد اعتقادٌ وسلوكٌ وهويّة معًا.

وأمّا صلتها بالهداية وصناعة الالتزام، فالولاية حلقةٌ يسـتمرّ بها خطّ الهداية الإلهيّة من النبوة إلى الإمامة فنيابـة الفقيه في الغيبة[٤]، وهي التي تصنع الالتـزام الإيماني، إذ تحوّل الإيمان من تصديق قلبيّ إلى عملٍ ملزِم، فـ«الإيمان الحقيقيّ لا بدّ أن يقترن بما يفرضه الإيمان من التزام»[٥]. ويتحقّق ذلك عبر طاعةٍ واعية تجمع الانقياد إلى التكليف مع البصيرة في تشـخيص المسار[٦]. فالولاية تصل مرجعيّة الدين بالفعل والالتزام.

وأمّـا موقعها من البنية الكليّة للدين، فالولايـة مبدأٌ مركزيّ ناظم، تقرّر روايات أهل البيت عليهم السلام

١ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص٤٦١.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٦)، ص١٩٨.
٣ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠٠٩)، ص٥٨٣.
٤ - علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ص٤٧٢.
٥ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٣٩.
٦ - علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي (٢٠١٤)، ص٢٣.

أنّهـا عمـود الدين إذ «لم يُنادَ بـشيء كما نُودي بالولايـة»[١]، وأنّ بها «تدبّ الـروح والحياة في المجتمع»[٢]. فهي تنتظم البناء الدينيّ على هذا الترتيب: التوحيد أصلاً، والهداية مسارًا، والولاية وصلاً بينهما، والطاعة الواعية والالتزام ثمرةً، وانتظام الجماعة المؤمنة غاية.

يتحصّل من ذلك نمـوذجٌ مفهوميّ واحد: الولاية عند الإمـام (الخامنئي) تُدَنَّسُ مبدأٌ ناظم يصل مرجعيّة الدين الإلهيّة بتجسّدها في الإنسان والجماعة؛ فهي أصلٌ جامعٌ تدور عليه الأركان وتُقاس إليه. وبهذا يثبت أنّ الولاية في فكره تتجاوز كونها صيغةً لإدارة الجماعة أو مسألةً ملحقة بالدين، إلى أن تكون موقعًا في صميم بنيته، تصل عقيدته بهدايته، وهدايته بالتزام الإنسان، والتزام الإنسان بانتظام الجماعة.

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج٢، ص١٨.
٢ - علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ص٢٣٦.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- علي الحسيني الخامنئي: العودة إلى نهج البلاغة.
- علي الحسيني الخامنئي: إنسان بعمر ٢٥٠ سنة، مركز نون للتأليف والترجمة، بيروت.
- علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة المجادلة، مركز المعارف للتأليف والتحقيق، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، بيروت، ٢٠٢٠م.
- علي الحسيني الخامنئي: تفسير سورة براءة، ترجمة محمد زراقط، دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، بيروت، ٢٠٢٠م.
- علي الحسيني الخامنئي: خطاب الولي، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، بيروت (سلسلة سنويّة، الأعوام ٢٠٠٩-٢٠١٩).
- علي الحسيني الخامنئي: كتاب القصاص، دروس البحث الخارج.
- علي الحسيني الخامنئي: كلمة بمناسبة عيد الغدير الأغر، ٢٥ حزيران ٢٠٢٤.
- علي الحسيني الخامنئي: كلمة بمناسبة عيد المبعث النبوي الشريف، ١١ آذار ٢٠٢١.
- علي الحسيني الخامنئي: كلمة صلاة الجمعة في طهران، ٤ تشرين الأول ٢٠٢٤.
- علي الحسيني الخامنئي: كلمة في لقاء ذاكري أهل البيت عليهم السلام، ١٥ شباط ٢٠٢٠.
- علي الحسيني الخامنئي: كلمة في لقاء مسؤولي البلاد وسفراء الدول الإسلاميّة، ٢٨ كانون الثاني ٢٠٢٥.
- علي الحسيني الخامنئي: مشروع الفكر الإسلامي في القرآن، ترجمة عباس نور الدين، دار المعارف الحكميّة، بيروت، ٢٠١٥م.
- علي الحسيني الخامنئي: نداء القائد، دار الثقلين، ٢٠٠٢ م.
- محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق إبراهيم

الميانجـي ومحمد الباقـر البهبودي، دار إحيـاء التراث العـربي، ط٣ المصححة، بيروت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

- محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، تحقيق علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسـلاميّة، ط٤، طهران، ١٣٦٢ش.